مجلة مشكلات الحضارة
المجلد 10 العدد 2 السنة 2022 ص ص: 40-69
ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

مراجعات نقدية للعلمانية العربية المعاصرة

Critical Reviews of Contemporary Arab Secularism

د.عبد الله بن جبار*
جامعة الجزائر 2- أبو القاسم سعد الله

تاريخ الاستلام: 23 / 11/ 2022 تاريخ القبول: 08 / 12/ 2022

Abstract:

In this article, we discuss, through study, criticism and analysis, the possibility of refining perceptions of Arab secularism with the principles of the true Islamic religion, by reviewing some of its inherited classical data that contradict the spiritual values of Arab society. Exacerbating it or exploiting it for the purposes of dormant sedition, while bringing the visions closer between intellectual discourses about the existence of the contemporary Muslim human being, as a global cultural asset.

Keywords: secularism; Debt; conflict; the speech; criticism; rationality.

*المؤلف المرسل: عبد الله بن جبار
abdallah.bendjabbar@univ-alger2.dz

ملخص:

نتناول في هذا المقال بالدراسة والنقد والتحليل إمكانية تهذيب تصوّرات العلمانية العربية مع مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، من خلال مراجعة بعض معطياتها الكلاسيكية الموروثة المنافية للقيم الروحية للمجتمع العربي، والقصد من ذلك كلّه، هو محاولة إنهاء ذلك الصراع الإيديولوجي الممقوت بينهما، وكذا الحدّ من استفحاله أو استغلاله لأغراض الفتنة النائمة، مع تقريب الرؤى بين الخطابات الفكرية حول وجودية الإنسان المسلم المعاصر، كموجود ثقافي عالمي.

الكلمات المفتاحية: العلمانية ؛ الدين ؛ الصراع ؛ الخطاب ؛ النقد؛ العقلانية.

1- مقدمة:

تعتبر قصة الصراع الإيديولوجي بين العلمانية العربية والدين الإسلامي، من أهم المسائل الفكرية التي تظهر في كلّ مناسبة ثم تختفي، حتى ظنّ الكثير بأنّه سجال تاريخي بين معسكرين، الأول: يمثّله دعاة العلمانية (بمسمّيات:العقلانية والتقدّمية والتنويرية والحداثية)، والثاني: دعاة الخطاب الديني (باسم حرّاس العقيدة، دعاة الإيمان، دعاة الصحوة والحضارة). والحقيقة، أنّ هذا الصراع الفكري الحضاري لم يحسم الأمر لأحد الطرفين، إلاّ بوجود استراحة وجيزة، حيث يراجع فيها الطرفان معطياتهما الضرورية لخوض معركة فكرية حاسمة وهكذا دواليك، في انتظار بديل جديد يحاول تهذيب العلمانية العربية أساسا مع الدين الإسلامي.

وإن كان البعض يعتبر هذه المحاولة عبثية لا تقدّم ولا تؤخرا شيئا، نقول بأنّ هناك أملا في إيجاد جانب مشترك قويّ بين العلمانية والدين، ألا وهو الوجود، كنظرية في الحياة، وعليه نحن في حاجة إلى مبرّر حكيم لتقليم معطيات العلمانية العربية مع مبادئ الدين من أجل إنتاج وعي حضاري هادف للإنسان المسلم. وطبعا هذه المحاولة، نريد توضيحها من خلال هذه الدراسة انطلاقا من طرح الإشكالية التالية: هل يمكن إخضاع معطيات العلمانية العربية الكلاسيكية لمبادئ الدين، من باب

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

تهذيبها والحفاظ عليها، لا من باب زوالها واستمرار صراعها وتناقضاتها مع الدين؟ هل يمكننا الحديث عن علمانية عربية جديدة من منظور إسلامي؟

للإجابة على هذه الإشكالية، سنكون في حاجة إلى خطوات منهجية، منها: التعرّف على طبيعة العلمانية العربية على وجه التحديد، أي ما نقلته من العلمانية الغربية من معطيات كانت سببا في صدامها مع الدين الإسلامي، ومن ثمّ الحديث عن بدايات الصراع الفكري والأيديولوجي بين المعسكرين العلماني والديني. ثم حتما علينا الكشف عن دواعي تكييفها مع القيم الحضارية الإسلامية، والبحث عن جوانب مشتركة بينهما من أجل تهذيبها مع الدين، وبمعنى أدق: الدعوة إلى مراجعة العلمانية لمبادئها الموروثة وفق ما يفيد ثقافة الإنسان المسلم، ولا أدلّ على ذلك الحديث عن الوجود الإنساني للمسلم، واعتبارها قاعدة شاملة، يمكن من خلالها توحيد الرؤى بين العلمانية العربية المهذّبة ومبادئ الدين الإسلامي. أي بإمكان العلمانية العربية المعاصرة التنازل عن بعض معطياتها الثقافية الموروثة من القيم الحداثية الغربية، حتى لا تتصادم مع الدين، منها: التنازل عن فكرة الفصل بين الدين والسياسة، أو اقتحام سياج العقيدة، باسم حرية النقد من أجل النقد، وامتلاك الحقيقة الدينية، والعبث بالنصوص الدينية. وهذه المحاولة نريد من خلالها بناء وعي جديد للعلمانية العربية من منظور إسلامي في شكل تعايش حضاري، كلٌّ ينظر إلى الإنسان المسلم من باب وجوده في الحياة.

هذه الخطوات المنهجية في البحث، تحتاج إلى عدة مناهج لمعالجة الموضوع المدروس، خاصة المنهج التاريخي الذي سنحاول من خلاله الاستئناس بالأحداث

*المؤلف المرسل: عبد الله بن جبار
abdallah.bendjabbar@univ-alger2.dz

التاريخية لمعرفة فحوى الصراع الإيديولوجي المستمر بين النخب الفكرية العربية. كذلك سنكون في حاجة إلى المنهج التحليلي لتوضيح بعض المفاهيم والتصوّرات الفلسفية الضاربة في أعماق ذلك الصراع، وأخيرا، هناك المنهج النقدي وهو الأساس في كلّ تحليل فلسفي عميق، ونعني بذلك تشريح مفهوم العلمانية العربية بما لها وما عليها، لا أن نجعلها ذريعة للتشاؤم واعتبارها سببا مباشرا في حصول الانحطاط والتخلّف، وإخفاق النهضة في عالمنا العربي والإسلامي.

- أهداف الدراسة:

سنحاول من خلال هذه الدراسة، تحقيق هدف من الأهداف الآتية :

1-إظهار طبيعة العلمانية العربية، وكيفية تسلّلها إلى الوعي العربي الإسلامي، كبديل حضاري وافد ودخيل على قيم المجتمع.

2-تبيان فشل العلمانية العربية في احتواء المشهد الفكري والاجتماعي والسياسي في المجتمعات العربية، وانحصارها في فكر النخبة فقط، رغم محاولاتها تشويه الانتماء الحضاري للمجتمع.

3- توضيح أسباب الصراع بين العلمانية العربية الكلاسيكية ومبادئ الدين الإسلامي، من خلال سرد السّجال التاريخي بين النخبة العلمانية ودعاة الخطاب الديني، كواجهة في المشهد الفكري و الثقافي والسياسي العربي.

4-هناك محاولة-على الأقل- لإيجاد جانب مشترك بين العلمانية العربية والدين، من خلال تهذيب معطياتها العدائية للدين (مسألة الفصل والغلو في النقد)، مع إظهار قراءة جديدة لها، تنظر إلى الإنسان المسلم كموجود حضاري، بحيث تقرّب العقل المسلم من فهم دينه كفهمه للحياة.

5-محاولة تكييف معطيات العلمانية العربية مع مبادئ الدين، إذا أرادت الاستمرارية والقبول في حياة الإنسان المسلم، وليس العكس؛ بحكم أنّها هي الوافد على الثقافة الإسلامية.

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

2- نشأة العلمانية في العالم العربي الإسلامي:

إنّ فصل الكنيسة عن الدولة والمعارك التي حصلت بين العلمانية ورجال الدين تعبّر عن الصراع بين مفهومين للمعرفة، والعمل التاريخي الملائم لها، نجد من هذه الوجهة،بأنَّ المسلمين الذين يرفضون فتح هذا النقاش بحجة أنّه يخصّ الغرب فقط، يعبّرُون بكلّ بساطة عن عجزهم عن دراسة تاريخهم بالذات والتفكير فيه، بالمعنى القوي والمليء لكلمة تفكير. فصحيح أنَّ الصراعات السياسية والاجتماعية التي أدّت إلى فصل ذروة الدين عن ذروة السياسة، تبرز صفة خاصة بالمجتمعات الغربية"[1]، لأجله كان نجاح القيم العلمانية في أوربا عائد إلى الصعود المستمر للبرجوازية التجارية التي كانت قد دعّمت النزعة الإنسانية في القرنين الثالث والرابع عشر، ولم تشهد إلاّ وجودا بدائيا ومؤقّتا، وقد لجأت دائما إلى علماء الدين القادرين على تبرير السلطات الدنيوية من أجل خلع الشرعية الإسلامية عليها، على الرغم من أنّها جاءت عن طريق القوة والعنف"[2]، وعليه؛ لم ينتبه العلماء إلى ضرورة التفرقة بين رأي رجال الكنيسة، والدين الصحيح في مفهومه العام. وصار الدين عندهم كما عرفوه من رجال الكنيسة؛ تجسيدا للتخلّف والجهل والخرافة. ورجل الدين رمزا لكلّ هذه المعاني. فهو داعية للجهل. محارب للعقل"[3].

وللتذكير فقط؛ كان الفكر المسيحي العربي،"مؤهّلا أكثر من غيره لدور الرّيادة، عندما جاءت الموجة "الهيلينية" الجديدة من أوروبا المسيحية-العلمانية. هذه التجربة غير المعهودة من قبل في تحديد العلاقة الجدلية بين الدين والعقل، تستند إلى مبدأ الفصل والتمييز والتفريق بينهما، وتتجاوز مستوى التوفيق الكلاسيكي. وهي

*المؤلف المرسل: عبد الله بن جبار
abdallah.bendjabbar@univ-alger2.dz

تجربة كان الفكر المسيحي العربي، بحكم جذوره الدينية، وصلاته الفكرية بالغرب، أقدر على استيعابها وتمثّلها والتبشير بها"[4]. هذا لتوضيح الطريق الذي دخل منه الغرب إلى ثقافتنا.

ومن ناحية أخرى؛ مهّدت التأثيرات العقلانية المادية المبكّرة التي جلبها العلمانيون المسيحيون لتقبّل الأفكار المادية الماركسية في فترة لاحقة. فعلى الرغم من أنّ العلمانية المسيحية لم تكن ماركسية النزعة، وغلب عليها المنحى التطوري الداروينى والقيم الليبرالية إجمالا، إلاّ أنّ ما جلبته من عقلانية خالصة وتفكير اجتماعي تطوري اشتراكي، ونزعة يسارية مبكّرة، أسهم في تهيئة العقل العربي لتقبّل الماركسية،عندما بذرت بذورها في العشرينات ومطلع الثلاثينات"[5] من القرن الماضي.

ومن هنا نستطيع القول بأنّ مفهوم العلمانية، تشكّل في دائرة الصراع السياسي الديني في أوروبا، واستقر في صورة محدّدة في أدبيات فلسفة الأنوار، حيث كانت تعني إقامة الفصل بين السلطة السياسية والسلطة الدينية، ثمّ انتقلت هذه الصورة إلى الوعي العربي، لتشهد ميلاد ذلك الصراع الإيديولوجي المعروف بين المعسكرين.

برزت تباشير العلمانية وملامحها الكلاسيكية الأولى في بدايات الفلسفة السياسية الحديثة، مع نقولا مكيافللي وتوماس هوبز، القاضي بضرورة التمييز في السياسة بين مجال الدين ومجال الدنيا، بين مجال الكنيسة ومجال المجتمع المدني. وقد ارتكز المفهوم في سياق تطوّره الفكري إلى قاعدة فلسفية كبيرة هي قاعدة المعتقد الليبرالي؛ التي تسلّم بأولوية الإنسان الفرد في الوجود، كما تسلّم بالقيمة المطلقة للحرية"[6]. والتي واكبت تشكّلها الأول؛ فقد اتجه المفهوم نحو رفض هيمنة مبدأ المقدّس على كلّ جوانب الحياة الإنسانية، وترتّب عنه البحث في الصيغ النظرية المقرّرة، بإمكانية اعتماد الدنيوي، كبديل للتعالي والقداسة الروحيين"[7].

لكن ما يهمّنا؛ هو الحديث عن أسباب انتشار العلمانية في العالم العربي الإسلامي، وكيف تسلّلت إلى ذهنية الإنسان المسلم؛ بحيث يعتقد بعض الباحثين

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

بأنّ رواد العلمانية العربية، وقعوا في أخطاء تاريخية حينما فرضوا على المجتمعات الإسلامية حلولا لا علاقة لها بتجربتهم، وإنّما هي ثمرة التجربة الأوروبية مع المسيحية. لذلك كانت نتائج العلمنة العربية مختلفة ومتباينة عن العلمنة الأوربية. فبينما تمخّضت العلمنة إبّان عصر النهضة في أوروبا عن ثورة فكرية وإصلاحات سياسية مهمة، تزعّمت العلمنة في بلاد المسلمين نخب مُستغربة، تحوّلت بعد تسلّمها للسلطة إلى آلات بطش عوّقت مسيرة المجتمع وكرّست تخلّفه"[8].

لكن مصطلح "العلمانية" الذي يُطلق عادة على تقليد الفكر المدني المستقل عن الدين الرسمي- يثير إشكالا بسبب غيابه من قاموس الفكر الإسلامي كلّه. وإذا جاز أن نصف الرافد العقلاني الخالص من هذا التيّار بالعلماني؛ فقد صوّرت المعركة بينه وبين الدين على أنّه صراع إيديولوجي بمعناه العام، ثم انتقلت المعركة بكلّ ملابساتها وظروفها إلى عالمنا العربي، دون أن يفطن دعاة التنوير في عالمنا العربي- للأسف- إلى أنّ الإسلام ليس هو الكنيسة، ولا عالمنا العربي هو أوروبا، ولا الحضارة الإسلامية هي الحضارة الأوروبية في عصورها المظلمة"[09]. وهذا هو المعقول الذي يضع حدا للمقارنة بين حضارتين مختلفتين من حيث الخصائص؛ فلا يمكن أن يكون المشكل واحدا، لأنّ المنطلق مغاير، والمسار مختلف تماما.

وعن أسباب الصراع الإيديولوجي المفتعل، فإنّه ثمّة انطباعا عاما مؤدّاه أنّ العلمانية لم تستجب لمتطلّبات المجتمعات الغربية، ولا هي أشبعت أشواق ناسها. فعادوا يحتمون بالدين مرّة أخرى بعد أن جرفتهم العلمانية بعيدا عنه. ثمّ إنّ إفرازات علمنة المجتمع أصبحت تؤرّق الضمير الغربي. فحين عزل الدين عن الحياة

*المؤلف المرسل: عبد الله بن جبار
abdallah.bendjabbar@univ-alger2.dz

واعتبر شأنا أخرويا مقطوع الصلة بالواقع، عانت المجتمعات من تفسخات وأمراض، فأصبحت تهدّد تماسكها واستقرارها. وأصبح التشرّد... والتحلّل الأخلاقي من سمات المجتمعات الغربية المعاصرة"[10].

ومن يطالع كتاب ادوارد سعيد عن "الاستشراق"، يستطيع أن يرصد بيسر بالغ ذلك الحرص الدائب من جانب نسبة غير قليلة من المستشرقين والكتاب الذين يتناولون الشرق عامة، الازدراء المستمر بالإسلام وإثارة الكراهية ضده، واعتباره حدثا انتهى أجله، ولا قيامة له بعد ذلك. وكلّ الصور الشائعة للإسلام المرسلة إلى أعماق الناس من خلال الكتابات التي طالعنا جانبا منها، لها جذورها فيما بثّه المستشرقون في العقول منذ قرون، صدّر إلينا بوسائل مختلفة، ليصبح بعد ذلك جزءا من ثقافة النخبة التي تعتلي معظم منابر الخطاب العام"[11] في العالم العربي الإسلامي؛ وبذريعة مواجهة التطرّف الديني؛ فقد ظهرت"حركات" ضمّت نفرا من المثقفين كانت مهمّتهم محاولة قطع الطريق على تقدّم الصحوة الإسلامية بمختلف الوسائل.

وبشكل أساسي، فإنّ الذين انخرطوا في تلك الحركات كانوا خليطا من غلاة العلمانيين والماركسيين، وغيرهم من الذين نجحت حملات التعبئة في تخويفهم من الإسلام والمسلمين، أو الذين استقرّت في أعماقهم كراهية الاثنين، ووجدوا أنَّ مكانهم الطبيعي هو في معسكر "الضدّ"، الرافض لكلّ ما هو إسلامي"[12]، وما هو عربي أصيل.

والحقيقة، إنّ الخلاف بين الإسلاميين وأغلب العلمانيين هو خلاف في المشروع الحضاري،..وليس حول "العقيدة" الإسلامية.. ومن ثمّ فإنّه خلاف في "الفروع"[13]. والحكم على مقولاتهم، إنّما يكون بمصطلحات "الصواب" و"الخطأ"، و"النفع" و"الضرر"، وليس بمعايير "الإيمان" و"الكفر"، و"الهداية"، و"الضلال"، كما

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

استفحلت هذه الظاهرة خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، ولا يزال رنينها يطفو إلى السطح، كلّما سنحت الفرصة لذلك.

3- بداية صراع العلمانية العربية مع الدين الإسلامي:

قبل الحديث عن فكرة الصراع والتصادم بين العلمانية العربية والدين الإسلامي، علينا أولا معرفة أصناف روادها في العالم العربي، حتى لا نقول أنّهم كلّهم أعداء للدين، ومنه يصدر عليهم الحكم المعروف لدى دعاة الخطاب الديني، وعليه يكون التصنيف كالآتي:

3-1- المعلّمون الثوريون: وهو أصحاب النزعة المادية، التي لا تقنع بمجرّد الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة، وإنّما تطمع إلى انتزاع التديّن من العقل والقلب والفكر والثقافة والمجتمع..وخلاف الإسلاميين مع هذا الفصيل العلماني هو خلاف في "الأصول"، وليس مجرّد خلاف في "الفروع".

3-2-العلمانيون الدّاعون للمرجعية الحضارية الغربية: وهم الذين يقف اختيارهم وتبشيرهم بالخيار الحضاري الغربي عند حدود "الاجتهاد الخاطئ"؛ وإنّما يقف وراءه كيد للإسلام وحضارته، ودعوة للبديل الغربي، باعتباره السبيل إلى إزاحة الإسلام عن طابع الحياة. ولقد بدأ تشكّل هذا الفصيل، في واقعنا الحديث، بنفر من مثقفي الطائفة المارونية بالشام، الكارهين للإسلام، تبعا لكراهيتهم للدولة العثمانية، وبفعل "العمالة الحضارية"، أو السياسة التي ربطت علاقاتهم وأنشطتهم بالمدّ الاستعماري الغربي"[14].

*المؤلف المرسل: عبد الله بن جبار
abdallah.bendjabbar@univ-alger2.dz

فالخلاف معهم قائم في أصول الانتماء والهوية والمشروع الحضاري..الأمر الذي يجعل التناقض معه تناقضا عدائيا إلى حدّ كبير.

3.3 . دعاة فصل الدين عن الدولة من العلمانيين الوطنيين والقوميين:

وهم من المفكّرين والسّاسة والأحزاب الذين انبهرُوا بنهضة الغرب، عندما قارنوها بتخلّف النموذج العثماني، الذي حسبوه هو نموذج الإسلام...فظنّوا أنّ استعارة النموذج الغربي هو السبيل إلى نهضة الشرق، كي يتحرّر من الاستعمار، ويعود إلى الإسهام في إثراء الحضارة الغربية، التي حسبوها عالمية وإنسانية للبشرية جمعاء! وهذا الفصيل من فصائل الحركة العلمانية، هو الأكثر نفوذا والأوسع انتشارا... فكثيرون منهم، يعودون - بدرجات متفاوتة- عن مقولات التغريب، ويقتربون- بدرجات متفاوتة- من الرؤية الإسلامية لمشروع النهضة، ومن تبنّي الإسلام مرجعا للمشروع الحضاري"[15].

ومن هنا تظهر جذور الصراع من خلال هذا الفصيل المهادن للعلمانية والعامل بالنصوص الإسلامية؛ فهو تارة يسيطر عليها بالتبرير، ويخضع لها تارة أخرى بالتقويم، باسم"الاجتهاد". وأصحاب هذا الاتجاه التغريبي بالذات، يحكمون بهذه الوسيلة المعوجّة آراء دخيلة في الدين، فيفسّرونه في ضوء ما ذهب إليه مفكّرو الغرب وفلاسفته"[16].

والأمثلة كثيرة حول هذا الفصيل العلماني الذي عبث كثيرا بالنصوص القرآنية، باسم حق النقد والتحليل، وامتلاك الحقيقة الدينية، ومن هؤلاء النخبة الفكرية العربية التي تشبّعت بهرطقات المستشرقين حول الإسلام.

ومن المعلوم؛ حسب المفكر الراحل محمد أركون(1928-2010) "أن الحداثة قد فرضت نفسها - بزعمه- كبديل للإنتاج التاريخي للمجتمعات البشرية. فقد أسقطت المشروعية المسيحية اللاهوتية القديمة، وأقامت محلّها المشروعية الحديثة (هل باستطاعتها إسقاط المشروعية الإسلامية يا ترى؟)، أي المشروعية الديمقراطية،

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

مشروعية حقوق الإنسان والمواطن، أي مواطن وأي إنسان كان بغض النظر عن أصله وفصله، عن عرقه ودينه ومذهبه"[17].

وكأنّ الإسلام هنا، يخلو من كلّ مشروعية للتمدّن، لتنتظر البشرية البديل العلماني التقدّمي، وعليه يكون لزاما عليها الاندماج في قيم الحضارة الغربية، وهذا تصريحه: <<أعتقد أنه يمكن لأوروبا أن تساعد الدول العربية والإسلامية (مجانا) على الاندماج في مناخ المعنى والقيم التي أدّت إلى انبثاق الهوية الفكرية الأوروبية. فبما أنّ أوروبا سبقت عالم الإسلام (عندما تنقلب الموازين في فكر أركون فتصبح العربة تقود الحصان) إلى دخول الحداثة، واكتساب الحرّيات الديمقراطية؛ فإنّها تستطيع أن تمدَّ يد المعونة لأبناء الضفة الأخرى (بهذه السّهولة) من الفضاء المتوسطي، لكي يدخلوا هم أيضا في عالم الحداثة والحرّيات والقيم الديمقراطية>>[18].

ولتأكيد ضرورة إرغام الشعوب العربية على التبعية المطلقة للقيم الحداثية الجديدة، يقول أركون: <<ذلك ونحن نعلم أنّ الشعوب العربية والإسلامية، لم تدخل بعد جدّيا حتى في المرحلة الأولى من الحداثة. فلكم أن تتخيّلوا حجم الهوة الشاسعة التي تفصل بين العقليات، وهذا يعني أنّ الأنظمة اللاهوتية التقليدية من يهودية ومسيحية وإسلامية لن تستطيع أن تقاوم طويلا حركة التاريخ>>[19].

إنّ العلمانية تعني عدم الالتزام بحاكمية الدين، أي: نفي إلزام والتزام المرجعية الدينية السّماوية، ذات المصدر الإلهي، وأن يستبدل بها المرجعية البشرية الوضعية؛ ذلك هو المعنى العام والفضفاض للعلمانية"[20] التي أصبحت ذات موقف عملي،

*المؤلف المرسل: عبد الله بن جبار
abdallah.bendjabbar@univ-alger2.dz

يتمثل في تهميش الدين تدريجيا، بحيث يصبح أقرب إلى "الفولكلور" في حياة الناس. ومن ثمّ، فالمسألة ليست في غياب الدين أو حضوره، ولكنّها تكمن في مدى فاعليته في المجتمع، حيث تظلّ العلمانية بخير، وفي تقدّم مستمر، طالما أنّ المقدّس يُحقّق تراجعات مستمرة، لصالح تأسيس واقع مادي يكتفي بذاته، ويستغني تدريجيا عن القوى الخارجية المتمثلة في الغيب أساسا. وهذا هو الحاصل في إنجلترا والدول الأخرى. فالدين موجود حقا في بعض المظاهر والتقاليد، ولكن "الحاكمية" الحقيقية هي للقيم العلمانية المادية في نهاية المطاف والتي حكمت العالم العربي ردحا من الزمن.

لقد عقّب الدكتور عبد الوهاب المسيري على هذا الكلام بقوله: <<إنه يستحيل علمنة الإنسان بالكامل، بمعنى تحويله إلى آلة، لا تعرف إلاّ المصلحة والمنفعة، وعلاقة التعاقد مع الآخرين، التي لا تعرف التراحم أو الأخلاق. ذلك أنّ الإنسان بفطرته الطبيعية، أكثر نبلا من ذلك، من هذه الزاوية.فربّما كانت علمنة المجتمع في قوانينه، وثقافته وقواعد إدارته، أيسر بكثير من علمنة الأفراد، الذين ستظلّ عملية العلمنة نسبية بالنسبة إليهم>>[21].

لكن ها هي عبقرية أركون مرّة أخرى تقول: << لقد آن الأوان للانخراط في أكبر عملية تفكيك في تاريخنا الفكري والثقافي. ما الذي أقصده بعملية التفكيك؟ أقصد بأنّ كلّ الموروث الديني والعقائدي لمختلف المذاهب والطوائف ينبغي أن يتعرّض لأكبر عملية غربلة>>[22]. ونحن نفهم من هذا القصد، الإلزام كرها لا طوعا على تبني قيم العلمانية بكلّ شوائبها، والتي هي في حاجة الى عملية غربلة، لكي تفهم الشعوب معطياتها، بدل التخلّي عن كلّ موروث ديني عقدي. فأيّهما أولى بالتمحيص: علمانية أركون أم مبادئ الدين الثابتة؟

وها هي المفارقة العجيبة في قول الأمير تشارلز، وليّ عهد انجلترا عن الإسلام والمسلمين، في محاضرته الشهيرة بجامعة "أوكسفورد": << لا يزال الغرب يعاني من

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

الجهل الكبير بشأن ما تدين به حضارتنا، وثقافتنا للعالم الإسلامي>>[23]. وبعدما قرّر ذلك قال: << إن الإسلام جزء من ماضينا، ومن حاضرنا في جميع ميادين الجهد البشري. لقد ساعد الإسلام على تكوين أوروبا المعاصرة. هو جزء من تراثنا، وليس شيئا مستقلا بعيدا عنّا>>[24].

ولنا أن نترك القارئ يحكم على قولهما: أحدهما يأمر بالخروج عن الموروث الديني العقدي، ويطالب بتفكيكه وغربلته(يقصد به الإسلام، وهو من بني جلدتنا)، والآخر بالعودة إلى كنف الحضارة الإسلامية، (وهو ليس من بني جلدتنا). وصدق من قال: شهادة العدو، أفضل من شهادة الصديق.

وفي الختام؛ قال: << وأكثر من ذلك؛ فالإسلام يستطيع أن يعلّمنا اليوم، كيف نفهم وكيف نعيش في عالمنا المسيحي، الذي يفتقر إلى المسيحية التي فقدها. فالإسلام في جوهره يحتفظ بنظرة كلّية متوازنة للكون>>[25]. ونتساءل هنا: أين حداثة محمد أركون؟ وهل بهذا القول العالم المسيحي في حاجة إلى حداثة أركونية كي يفهم الحياة؟

لقد اعتقد مفكّرنا محمد أركون، بأنّه "آن الأوان أيضا لإدراك أنّ خطاب التنوير الغربي، المنطلق من العداء للدين، لا يصلح للعالم الإسلامي والعربي، الذي يمثّل فيه الدين قيمة عظمى، وتسوده قيم أخرى تعلى من شأن الدولة والجماعة والأسرة.. في رأيه أنّه لا العلمانية ولا الليبرالية، ولا الماركسية تصلح أساسا لإنهاض العالم الإسلامي. فكلّ منها يصطدم أو يتناقض مع تركيبة المجتمع الإسلامي، الذي لا مفرّ من الاعتراف بأنّه يمثّل ثقافة مغايرة تماما لتلك السّائدة في المجتمع الغربي"[26].

*المؤلف المرسل: عبد الله بن جبار
abdallah.bendjabbar@univ-alger2.dz

لذلك وجب توضيح معطيات العلمانية المتسللة الى عالمنا العربي بشيء من التفصيل،والمتمثلة في العنصر الآتي:

4. نقد معطيات العلمانية العربية المعاصرة:

لقد جرت مناقشات مثيرة للغاية بشئون الحريات في العالم الإسلامي. خاصة حول موضوع "انهيار العلمانية والتحدّي الإسلامي للغرب". فانصبّت أولا حول مراجعة ونقد المشروع العلماني، على المستويين الفلسفي والتطبيقي، ثم موقف الإسلام من الفكرة العلمانية، ومن ثمّ إعادة التفكير فيما أُعتُبِر منجزات للعلمانية في المجتمعات الحديثة...فضلا عن ذلك، فإنّ العالم الغربي يشهد الآن حالة من إحياء "السياسات الروحية"، التي ساد الظنّ بأنّ علمنة المجتمعات قد تجاوزتها، وانتقلت بها إلى طور جديد مغاير تماما، لما سبقه.."وفضلا عن هذا وذاك، فإنّ شيوع الظاهرة الإسلامية في العالم العربي والإسلامي، يشكّل تحدّيا كبيرا للعلمانية، وتهديدا لمسيرتها"[27].

وممّا يُؤْسف له، أنَّ كلّ الملابسات التي ارتبطت بمصطلح التنوير، انتقلت معه إلى الشرق العربي... فلم يعد التنوير قاصرا على رفض الجهل ومحاربة الخرافة، وإنّما امتدّ معناه، ليشمل تغيير العادات والسّلوك والقيم والمفاهيم الثابتة في بلادنا، والمرتكزة على الأبعاد الدينية والخلقية. وتطوّر ذلك عند البعض إلى رفض الإيمان بالغيب، فجعلوه من الخرافات التي نادوا بضرورة التخلّص منها"[28]. وهذه هي القطرة التي أفاضت الكأس، فجعلت العلمانية العربية تقتحم سياج العقيدة الدينية باسم أحقية النقد ليس للفكر الديني فحسب، وإنّما حملت جرأة النخبة العلمانية العربية إلى نقد الدين في ذاته، والتشكيك في نصوصه مع ضرورة تفكيكها، والمطالبة بتجديدها أو إلغاء جزء منها، ووصلت ببعضهم إلى نقد الذات الإلهية (موقف نوال السعداوي في فيديو مسجّل، والمصحف المدفون في البحر الميت، وهرطقات جلال العظم، وغيرها).

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

ثم أخذوا يصوّرون المعركة على أنّها صراع بين الإسلام والعلم، بين الدين والعقل، بين ضرورة التخلّص من الماضي، والنهوض بالمستقبل، وكان النموذج الغربي في نظرهم هو المثل والقدوة التي ينبغي أن نحذو حذوها، حتى لو دخلوا جحر ضبّ خرب لدخلناه معهم. وكما أعلن العلماء في الغرب أنّ الدين خرافة، ورجاله رموز للجهل، أخذ دعاة التنوير في بلادنا يلصقون نفس التّهم بالإسلام ورجاله"[29]، فنادوا ولا يزالون بفصل الدين عن الدولة، كما فصلت أوروبا السلطة السياسية عن السلطة الدينية، ناسين أو متناسين أنّ السلطة الدينية، ليس لها في الإسلام مكان ولا مكانة"[30] في الوصاية الأبوية من قريب أو بعيد.

وكان بين الأساليب التي سلكها أصحاب هذا الاتجاه في تمجيد الحضارة الغربية، تهجين الحضارة الإسلامية، والحطّ من شأنها، وتصوير الماضي كلّه على أنّه تخلّف وظلام.. وأنّ العودة إليه أو الدعوة إلى إحيائه بالإفادة منه، هي عندهم، عين التخلّف والجهل"[31].

والأشدُّ خطرا؛ أن يُحذَف من الدستور النص على أنّ الدين الرسمي للدولة، هو الإسلام لتصبح دولة علمانية لا دينية أو لائكية (تجربة تونس)، وأن يُحذف من القوانين كلّ ما يتّصل بالإسلام، كعقيدة وشريعة. وأن تُنقَّى برامج التربية والتعليم من المواد الدينية، فيُحذف من مناهجها كلّ ما يتعلّق بالتربية الإسلامية، ليصبح التعليم علمانيا لا دينيا. وليس هناك شيء فوق النقد، ولابد أن تخضع النصوص الدينية (الكتاب والسنة) للنقد العقلي، فما قَبِلَهُ العقل منها يُؤخذ به، وما لم يقبلها العقل لا يُعمل به"[32]. وهكذا أرْغِمت الشعوب العربية على الحياة العلمانية، فكانت

*المؤلف المرسل: عبد الله بن جبار
abdallah.bendjabbar@univ-alger2.dz

بمثابة فصل الروح عن الجسد، في أقوى تحدّي لها للمشاعر الدينية، بعد تذوق ويلات الاستعمار.

وباسم التّصدّي للتطرّف، سمح البعض لأنفسهم بتجاوز الخطوط الحمراء، ومحاولة تجريح التديّن ذاته. وهي السياسة التي ترى في التديّن، تربة خصبة ينمو فيها، ويتغذّى منها التطرّف"[33] الديني، وفي ذلك إساءة للدين من كلّ جوانبه.

إنّ التطرف العلماني بموقفه ذاك، لا ينال من عقيدة الأمّة فحسب، ولا ينتهك إيمان الأغلبية السّاحقة من أبناء الأمة، وإنّما هو يسعى-في قصد أو غير قصد- إلى تقويض أحد المقوّمات الأساسية للمجتمع؛ الأمر الذي يشكّل عدوانا على المصلحة الوطنية العليا في نهاية الأمر"[34].

أمّا قضية الإسلام والنخبة، فقد عالجها الباحث المغربي هشام جعيط في مقال نشرته له مجلة "اليوم السابع" التي تصدر في باريس (عدد 11 يناير سنة 1988). وهو يثير المشكلة، قائلا: <<إنّ كلّ أصناف النخب في العالم العربي بعيدة كلّ البعد، ليس فقط عن التيارات الإسلامية، بل عن الإسلام ذاته. وبكلمة: نخبتنا فقدت الإيمان تماما، وفقدت الصّلة بالتراث الديني، الذي هو قلب تراثنا وأهم عنصر فيه.وغربة شرائح النخبة عن الإسلام، هو الباب الذي ينفذ منه أبالسة العصر لتنفيذ مخططاتهم الرامية إلى تشويه الإسلام وحصاره، واغتياله في الضمير العام وفي الواقع>>[35].

كما التقت أهواء العلمانيين على تمجيد النموذج الغربي حضارة ومدنية؛ فقد وضع سلامة موسى (1888-1957م) كتابه "ما هي النهضة؟"، يطالب فيه المجتمع المصري، إذا أراد أن ينهض كما نهضت أوروبا، أن يحذو حذوها في العادات والتقاليد. ولا زالت الدعوة مستمرة إلى وقتنا هذا.. إنكار الأديان، والعمل من أجل الدنيا؛ إذ ليس وراءها شيء يجب أن نعمل له، والحديث عن يوم الآخر، هو حديث خرافة

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

ويترتّب على هذه النقطة ضرورة التخلّص من كلّ فكر ديني، أو عقيدة تدعو إلى الإيمان باليوم الآخر"[36].

وإذا شئنا كلمات معبّرة عن مقاصد سلامة موسى، يقول فيها: <<إذا كانت الرابطة الشرقية سخافة، لأنّها تقوم على أصل كاذب، فإنّ الرابطة الدينية وقاحة، فإنّنا أبناء القرن العشرين أكبر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا... ونحن في حاجة إلى ثقافة حرّة أبعد ما تكون عن الأديان... وكلّما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبّي لها وتعلّقي بها، وزاد شعوري بأنّها منّي وأنا منها، وهذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي، سرّا وجهرا، فأنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب>>[37]. يقول هذا، وهو في ديار العروبة والإسلام.له من القابلية للانبطاح لثقافة الغرب التي جثمت على عرض آبائه وأجداده، وهو جدّ معتزّ به ومفتخر، وأمثال سلامة موسى كثيرون في كلّ قطر عربي مُستعمّر، مكرّس للجهل بمبادئه الدينية.

وعن معطيات العلمانية العربية المتناقضة مع جوهر الدين، الجرأة على النقد بغرض تحريره وتنزيهه وتنقيته من الشوائب، كما صرّح محمد أركون (1928-2010م): <<وكلّ أعمالي النقدية المتركزة على تحليل العقل الإسلامي تهدف إلى تحرير الإسلام، من الهموم السلطوية والمادية والدنيوية المباشرة. وذلك من أجل أن يعود إلى نقائه الأول وروحانيته الصافية وتنزيهه عن كلّ أغراض الدنيا وسفاسفها (..) فالإسلام لم يعد دينا في عصرنا الراهن، وإنّما أصبح إيديولوجيا سياسية تراود عليها قوى السلطة والمعارضة في آن معا.

*المؤلف المرسل: عبد الله بن جبار
abdallah.bendjabbar@univ-alger2.dz

لقد فقد بعده الديني والروحي المتعالي... ولذلك أقول بأنّ العلمنة التي أدعو إليها في العالم الإسلامي ليست مضادة للدين، وإنّما هي فقط مضادة لاستخدام الدين لأغراض سلطوية أو انتهازية أو منفعية>>[38]. ولنتساءل: كيف يتمّ تنقيته من الشوائب، بالتشكيك فيه ثمّ تفكيكه، ثم العبث بنصوصه، بذريعة حق النقد ومنهجية القراءة العلمية؟ وهل طالب المجتمع العربي بالتخلّي عن الإسلام صراحة، ليستنجد بالعلمنة؟

5/-مغالطات العلمانية من خلال كتابات روادها:

من بين المغالطات التي وقع فيها محمد أركون مثلا: لا يُوجد إسلام واحد، وإنما يُوجد إسلامات، بقدر الفئات الثقافية والعرقية التي تعتنقه. وقوله هذا زعم باطل، ومغالطة مكشوفة، لأنّ الإسلام في أصله وحقيقته إسلام واحد، يقوم على القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة الموافقة له – أي للقرآن. وأمّا ما أشار إليه من التنوع الثقافي والعرقي؛ فهو تنوّع سببه اختلاف الفهوم والتفسيرات، في مسائل شرعية معروفة مُختلف فيها بين العلماء، وبعضها من التقاليد والأعراف التي ربّما لا تخالف الشرع"[39]. كما يتمثّل التباس الفكر العلماني العربي على نمط محمد أركون التشكيك في صحة النص القرآني، حين أفصح عن مشروع مصحف البحر الميت بزعمه (وإمكانية نقل صلاة الجمعة إلى يوم الأحد)؛ فكانت أكذوبة زمانه التي لم يصدقها أحد من الدارسين له. بل يجاهر بأنّه لم يفهم القرآن، ويشكّك في نزوله بصريح العبارة، مثلاً: <<أصبحوا يقدّمون الخطاب القرآني، لكي يُتلى ويُقرأ ويُعاش، وكأنّه الكلام الأبدي الموحى به من قبل إله متعالٍ>>[40]. ويتناسى قول الله تعالى: <<أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ>> (سورة الرعد،آية 19).

فهل يعلم مفكّرنا مكانة هذه الآية في قلبه؟ وها هو يقول صراحة: <<ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط، والحذف، والإضافة، والمغالطات التاريخية؛ التي

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

أحدثتها الروايات القرآنية، بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس>>[41].

ونحن هنا، إذ نقدّم نموذج تصوّرات محمد أركون التي يعتبرها مشروعا تنويريا، تحت غطاء الإسلاميات التطبيقية، وما صرّح به غيره من العلمانيين لا يكفي لتوضيحه في هذه الدراسة. لأنّ المغالطة تكمن في إيهام القارئ بأنّ قراءتهم علمية نقدية، تثويرية. وهي عكس ذلك تماما، بحيث تعمل على الهدم المكشوف، والدليل أنّ مشاريعهم الحداثية باءت بالفشل دون رجعة. وقد آن الأوان لكشف ما تخفيه العلمانية العربية من مّغالطات، والاحتماء وراء العلمية والعقلانية والتقدّمية من أجل نقد العقيدة من الأساس، وليتها كانت قراءات عقلية لنقد ممارسات التفكير الديني. لأنّ نقد الدين شيء، ونقد الممارسات شيئا آخر، وعليه تحديد الإستراتيجية الممكنة لإخراج العقل العربي من واقع التخلّف بكشف اللامعقول، وليس بمحاولة تجاوز سياج العقيدة، والخلط في تأويل النصوص الدينية، وهذا فيه تطرّف وغلو في اقتحام المقدّس، باسم أحقية امتلاك الحقيقة الدينية حتى لا تكون هناك أحادية في التفكير الديني. وهذا المجال هو الذي أخذ حيّزا كبيرا في الدراسات الإسلامية.

6/- تهذيب التباسات العلمانية حول عالمية الإسلام:

من أكثر الأفكار ذيوعا في هذا الموضوع-مقولتي عروبة الإسلام، وكون الله سبحانه وتعالى معبودا عربيا. لذلك لم يتحدّثوا عن عروبة الإسلام انطلاقا من الاعتزاز بالقومية، ولكن لحصار الإسلام وتطويقه، وأكثر هؤلاء المستشرقين، الذين لم ينتبهوا إلى أنّ الآيات الدالة على عالمية الرسالة، نزلت في المرحلة المكية، قبل أن يتمكّن النّبي محمد(عليه السلام) وقبل أن تنجح التجربة في بلاد العرب"[42].

*المؤلف المرسل: عبد الله بن جبار
abdallah.bendjabbar@univ-alger2.dz

والطريف أنّ مستشرقا منصفا مثل "السر توماس آرلوند"تصدّى لردّ مقولة "عروبة الإسلام"، مؤكّدا عالميته، في كتابه الشهير "الدعوة إلى الإسلام"، الذي تُرجِم إلى العربية سنة 1947م. وقد أبدى دهشته واستغرابه من إنكار بعض زملائه لعالمية الرّسالة، وردّ دعوتهم مستشهدا بآيات العالمية ونزولها في مكة، وبالرسائل التي وجّهها النّبي(ص)إلى ملوك عصره في السنة السادسة من الهجرة. (العلمانيون العرب منهم مفكّرنا نصر حامد أبو زيد (1943-2010م) يختزل هذه الحقائق وينكرها). وممّا قاله في هذا الصدد:<< إنّ الرسول صرّح بكلّ وضوح وجلاء، أنّ الإسلام ليس مقصورا على الجنس العربي، قبل أن يدور بخلد العرب، أي شيء يتعلّق بحياة الفتح والغزو بزمن طويل>>[43].

وصاحب هذا الإنكار لعالمية الإسلام هو الدكتور أحمد خلف الله في مقولته: <<إنّ الإسلام ليس إلاّ النظام الديني للأمّة العربية أولا وقبل كلّ شيء، النظام الذي نزل من السّماء ليكون البديل عن الأنظمة الأخرى"؟؟؟ وكرّر فكرة أنّ الإسلام كنظام ديني، لم يخرج مكانيا عن المحيط العربي في شبه الجزيرة، إلاّ بعد أن جرّب ونجحت تجربته. وذكر أنّ الآية: "اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينُكُم"..قصد بها العرب" والعرب ليس غير>>[44]. فما يهدف إليه، هو إثبات "أنّ الإسلام قد جُرِّب أولا في جزيرة العرب، وحين نجحت التجربة، خرج به الذين جرّبوه إلى أمم أخرى غير العرب"[45]. لكن زعيم البعث "ميشيل عفلق" يتساءل مندهشا:<<هل يعني هذا أنّ الإسلام وُجِد ليكون مقصورا على العرب؟.. فكلّ أمّة عظيمة عميقة الاتصال بمعاني الكون الأزلية، تنزع في أصل تكوينها إلى القيم الخالدة الشاملة. والإسلام خير مفصح عن نزوع الأمّة العربية إلى الخلود والشمول. فهو إذن في واقعه عربي، وفي مراميه المثالية إنساني>>[46]، أي عالمي كأقصى تقدير.ثم هل كان للعرب وجودا حضاريا لولا ظهور الإسلام؟

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

لقد رأى العلمانيون بأنّ الإسلام في الصورة التي قدّمها له تيار الجمود والتقليد، "فأيقنوا بعجز أن تكون السبيل للتحرّر من الهيمنة الغربية، وعندما وازنوا بين هذه الصورة وبين النموذج الغربي، بهرهُم الغرب وأدهشتهم إنجازاته.. وخُدعوا بزعم الغرب وحدة الحضارة، فحسبوا أنّ التحضّر والتقدّم لا يقتضي مشروعا حضاريا متميزا، وإنّما يقتضي اللحاق بالغرب، والاشتراك معه في حضارته التي صدقوا أنّها الحضارة "الإنسانية"و"العالمية"[47]، بل نسوا بأنّ عالمية الإسلام سبقتهم في التجسيد- حضارة الأندلس خير دليل على تجمّع كلّ الثقافات في تعايش سلمي منفرد- قبل تصوّرات الغرب حول مشروعهم الحداثي الذي ذاقت منه الشعوب المقهورة الويلات، وخيبات أمل في تحقيق النظام العالمي المنشود. ومن أجل هذا يلجأ العلمانيون إلى تزييف المفاهيم،..حيث ينتقلون من مسألة "فصل الدين عن الدولة" إلى تعبير "فصل الدين عن المجتمع"[48]. وهذا الإقصاء من حيز "الوطن" و"الوطنية" يعتمد أيضا على آلية الخداع والتزوير والتضليل، التي لا تظهر "العلمانية" إلاّ معاداة الأديان؛ فأيّ دين أقرب للعلمانية من هذا الدين الذي كان موجودا قبلها ؟

فإذا كانت العلمانية في الغرب، حرّرت العقل من سلطة الدين الكنسي، وحرّرت الدين والمجتمع من سلطة الكنيسة، فإنّها في التجربة العربية رهنت الدين والمجتمع والعقل لكنيسة جديدة، هي دولة النخبة العلمانية أو ما يمكن تسميته بدولة "الأوتوقراطية العلمانية". من ثمّ، ففيما بدت العلمانية الغربية لصالح المجتمع وفي خدمته، فإنّها في التجربة العربية ظلّت على الدوام ضدّ المجتمع، وضدّ طموح الجماهير وأحلامها"[49].

*المؤلف المرسل: عبد الله بن جبار
abdallah.bendjabbar@univ-alger2.dz

وهنا نتساءل: لماذا لم تنجح العلمانية العربية في تحرير العقل العربي من الموروث الديني العتيق؟ ولماذا لم ينجح أيّ مشروع من مشاريعها الحداثية في العالم العربي؟ ولماذا يختفي رواد النخبة العلمانية العربية وراء مسمّيات مزيفة، مثل: العقلانية والتنويرية والتقدّمية والحداثية، والنقدية...الخ ؟ وأخيرا؛ لماذا لم يُكتّب للعلمانية العربية القبول والتمكين في المجتمعات العربية، مثلما اعتنقت كثير من الأجناس الإسلام طواعية ؟؟؟

لقد دخلت العلمانية إلى العالم العربي متسلّلة من النوافذ، لا من بابه الواسع، حتى يُكتب لها القبول والرضا، والتمكين في الوعي العربي، وتتجسّد كلّ مشاريعها الحداثية المزعومة على أرض الواقع. ثمّ إنّها لم تقم بتكييف معطياتها أو تصوّراتها حول الإنسان والمجتمع، مع ما من شأنه أن تتصادم معه. وباختصار شديد، كانت تسير في خط معاكس للثوابت الوطنية والدينية للفرد المسلم. وبدلا أن تسعى إلى التغيير الهادئ في كيان هذا الأخير، فقد حاولت طمس معالم هويته الحضارية، وتقديم الدخيل عنه، لعلّه يقع في التبعية المفروضة عليه. فكانت النتيجة تصادم وصراع، وعداء للدين والمجتمع. وعليه كان على العلمانية العربية أن تعيد النظر في معطياتها المعادية للدين، وتراجع آلياتها في التعامل مع الموروث الثقافي العربي عموما، ثمّ تتّجه بعدها نحو ما هو مشترك مع الدين، لاسيما الاهتمام بوعي الإنسان المسلم ومساعدته في مواجهة التحدّيات العالمية، لاسيما التفكير في القيادة الإنسانية الراشدة.

وبدلا من نقد النصوص الدينية والمطالبة بتغييرها أو تجديدها، كان على العلمانية العربية تعزيزها بمشاريع فكرية، تزيد من الروابط الروحية والوطنية، وكأنّها هنا تؤدّي دور الصيانة، بحيث تعمل على تنمية قدرات الفرد المسلم على صناعة حياة جديدة، كي تحافظ على ثوابته، وتساير في نفس الوقت متطلّبات عصره، ومن هذا الباب تأتي خطوة التصالح مع المجتمع. فعندما ننظر مثلا للحياة

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

العامة للمجتمع العربي الإسلامي المعاصر اليوم، خاصة في المدن الكبرى، نكاد نجزم بأننا نعيش في مجتمع غربي بامتياز، من خلال ممارسة بعض العادات هنا وهناك، منها على سبيل المثال: الحفلات ونمطية اللباس، وتقنيات العيش؛ نحكم على المجتمع العربي، أنّه قد تخلّى عن دينه تماما، وانسلخ عن هويته الحضارية، وقيمه الروحية دون رجعة. نفهم من هذه المظاهر بأنّ ما سعت إليه العلمانية العربية منذ عقود هو غير الطريق الذي يسير عليه الدين، والمجتمع الإسلامي هنا يقع بين التبعية والتقليد لأحد الطرفين. فهل هو تغيير إيجابي أم سلبي؟ ولماذا التخوّف من مستقبل الإنسان المسلم داخل بيئته الثقافية؟

نقول بأنّ معيار التهذيب للعلمانية العربية المعاصرة، هو بالعودة إلى الواقع العام المشترك، حيث إعادة النظر في وجودية الإنسان المسلم، كصاحب رسالة إنسانية وعالمية، حينئذ يزول الصراع الإيديولوجي بين دعاة العلمانية المتطرفة، ودعاة الخطاب الديني المتزمّت، وتنتهي التساؤلات العقيمة عند طبيعة الحياة التي يريد الإنسان المسلم أن يحياها بكلّ حرية.

7. خلاصة: نتائج الدراسة.

نخلص في الأخير، بخصوص موضوع محاولة تهذيب العلمانية العربية مع مبادئ الدين الإسلامي إلى جملة من النتائج والتوصيات؛ فنقول بأنّها مجرّد محاولة لإعادة قراءة الواقع العربي وما تمارسه الأفكار المتضاربة من تفرقة في المواقف، وتأخير النهضة المنشودة، حتى صرنا أمام شريط يُعاد تركيبه كلّ مرة، وصرنا كذلك كالإنسان الذي يمشي إلى الأمام ورأسه ينظر إلى الوراء، وفيه ضياع للوقت والفرص.

*المؤلف المرسل: عبد الله بن جبار
abdallah.bendjabbar@univ-alger2.dz

وإن كان الحكم على العلاقة بين العلمانية العربية والدين، هي علاقة صراع وعداء دائمين، ولن تنتهي بالتصالح. وعليه نقدّم بعض التوصيات، منها:

7-1- ضرورة إعادة مراجعة العلمانية العربية لمعطياتها وتصوّراتها الكلاسيكية المعادية للدين الإسلامي، إذا أراد لها القبول في واقع المجتمع العربي المسلم.

7-2- تكييف تصوّراتها المعقولة مع مبادئ الدين، منها: مساندة مبادئ الدين بخطاب عقلي متوازن، يخدم القيم الروحية للمجتمع، وذلك تفاديا لأيّ صراع إيديولوجي من شأنه أن يخدم أطرافا أخرى معادية للتحضّر والتمدّن.

7-3- اختيار ما هو قابل للنقد في التفكير الديني، وبين ما هو غير قابل للنقد والتحليل في الدين(خاصة مسائل العقيدة).

7-4-الحثّ على تقديم نموذج لعقل إسلامي قادر على صناعة عقلانية إسلامية حداثية، تنهل من مراجع الثقافة الإسلامية، وليس من مصادر المستشرقين المضللة للحقائق التاريخية.

7-5-الدعوة إلى بناء وعي إسلامي حضاري عالمي، يليق للقيادة الإنسانية، من خلال تجاوز النظرة الضيّقة لأشكال الصراع الإيديولوجي الذي بسببه تمّ تأخير النهضة المنشودة.

7-6-العمل يقول الله عزّ وجل الذي هو أمر واجب : <<**وَ لاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْم قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلِ وَ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَ ضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**>>- الآية " 77 " من سورة **النساء** .

—————————

الهوامش:

(01)محمد أركون، **الفكر الإسلامي قراءة علمية**، ترجمة/ هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، ط2، 1996م، الدار البيضاء-بيروت، ص81.

(02)المرجع نفسه، ص81.

مجلة مدارات الحضارة

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

(03)محمد السيد الجليند، **فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع الغربي**،دار قباء للطباعة والنشر و التوزيع ،القاهرة،1999م ص15.

(04)محمد جابر الأنصاري، **الفكر العربي وصراع الأضداد**، (كيف احتوت التوفيقية الصراع المحظور بين الأصولية والعلمانية والهم المؤجل بين الإسلام والغرب)، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط2، عمان، الأردن، 1999م، ص51.

(05)محمد السيد الجليند، المرجع نفسه، ص16.

(06)كمال عبد اللطيف، **مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، تموز (يوليو)1992م، ص ص(39-40).

(07) المرجع نفسه، ص40

(08) محمد شاكر الشريف،**العلمانية و ثمارها الخبيثة**، دار الوطن - الرياض، ط1 ، 1411هـ ، ص 7

(09)عبد الوهاب الميسري، **العلمانية الجزئية و العلمانية الشاملة**، المجلد 1، دار الشروق - القاهرة، ط1 ، 2002، ص 15-16

(10)فهمي هويدي، **المُفْتَرون** (خطاب التطرّف العلماني في الميزان)، دار الشروق،ط2، 1999م، بيروت، ص248.

(11) محمد السيد الجليند، المرجع نفسه، ص16.

(12)فهمي هويدي، **المفترون**، ص 243.

(13)المرجع نفسه، ص16.

(14) المرجع نفسه، ص6.

*المؤلف المرسل: عبد الله بن جبار
abdallah.bendjabbar@univ-alger2.dz

(15)محمد عمارة، **أزمة الفكر الإسلامي المعاصر**، دار الشرق الأوسط للنشر،القاهرة، ص 48.

(16)المرجع نفسه، ص ص(49 50).

(17) المرجع نفسه، ص 51.

(18)مصطفى حلمي، **قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي** (بحوث في العقيدة الإسلامية)، منشورات محمد علي بيضون -دار الكتب العلمية، ط1 2005م، بيروت-لبنان، ص161.

(19) محمد أركون، **الإسلام ،أوروبا، الغرب (رهانات المعنى وإرادات الهيمنة)**، تر/هاشم صالح، دار الساقي، ط2، سنة 2001م، بيروت لبنان، ص19.

(20) المرجع نفسه، ص35.

(21) المرجع نفسه، ص36.

(22)محمد عمارة، **التيار القومي الإسلامي**، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1997م.ص135.

(23) فهمي هويدي، المرجع السابق، ص254. بتصرف.

(24)محمد أركون، **الإسلام ،أوروبا، الغرب**، ص200.

(25)نقلا عن: فهمي هويدي، **المفترون** (خطاب التطرّف العلماني في الميزان)، ص27.

(26)المرجع نفسه،ص27.

(27)نقلا عن: فهمي هويدي، المرجع نفسه، ص28.

(28)المرجع نفسه،ص248 .

(29) المرجع نفسه، ص242.

(30)محمد السيد الجليند، المرجع السابق، ص29.

(31) المرجع نفسه، ص ص(16-17).

(32) المرجع نفسه، ص59.

مجلة مشكاة الحضارة

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

(33) المرجع نفسه، ص65.

(34) المرجع نفسه، ص61.

(35)فهمي هويدي، **المُفتَرُون** (خطاب التطرّف العلماني في الميزان)، ص06.

(36) المرجع نفسه، ص180.

(37)محمد السيد الجليند، المرجع السابق، ص ص(63-64).

(38)نقلا عن: محمد عمارة، **أزمة الفكر الإسلامي المعاصر**، ص ص 65- 66.

(39)محمد أركون، **الإسلام، أوروبا، الغرب**، ص203.

(40)خالد كبير علال، **الأخطاء التاريخية و المنهجية في مؤلفات محمد أركون وومحمد عابد الجابري**- دراسة نقدية تحليلية هادفة- دار المحتسب،ط1، 2008 الجزائر،ص05.

(41)محمد أركون، **الفكر الأصولي واستحالة التأصيل**، تر/ هاشم صالح، ط 2، دار الساقي، بيروت، 2002 ،ص 146.

(42) محمد أركون، **الفكر الإسلامي قراءة علمية**، ص 203.

(43)فهمي هويدي، **المفترون**، ص185.

(44) المرجع نفسه، ص 186.

(45) المرجع نفسه، ص ص 181-182.

(46) المرجع نفسه، ص181

(47) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث**، دار الطليعة، ط6، بيروت،1972، ص127.

(46)فهمي هويدي، المرجع نفسه، ص ص259 -261 ، بتصرف.

*المؤلف المرسل: عبد الله بن جبار
abdallah.bendjabbar@univ-alger2.dz

(48)نقلا عن: محمد عمارة، المرجع نفسه، ص91.

(49)نصر حامد أبو زيد، **نقد الخطاب الديني**، دار سينا للنشر،ط2، القاهرة، 1994م، ص 95

(50)فهمي هويدي، المرجع نفسه،ص ص259 -261 . بتصرف.

(51)المرجع نفسه، ص 261.

قائمة المصادروالمراجع:

-القرآن الكريم.

(01)أركون، محمد، (1996م)، **الفكر الإسلامي قراءة علمية**، ترجمة/ هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، ط2، الدار البيضاء-بيروت.

(02)أركون، محمد،(2001م)، **الإسلام ،أوروبا، الغرب (رهانات المعنى وإرادات الهيمنة)**، تر/هاشم صالح، دار الساقي، ط2، بيروت لبنان.

(03)أركون، محمد،(2002م)، **الفكر الأصولي واستحالة التأصيل**، ترجمة/ هاشم صالح، ط 2، بيروت، دار الساقي

(04) جابر الأنصاري، محمد(1999م)، **الفكر العربي وصراع الأضداد**، (كيف احتوت التوفيقية الصراع المحظور بين الأصولية والعلمانية والهم المؤجل بين الإسلام والغرب)، ط2، دار الفارس للنشر والتوزيع،عمان، الأردن.

(05)الجليند، محمد السيد، (1999م)، **فلسفة التنوير بين المشروع الإسلامي والمشروع التغريبي**، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

(06) حامد أبو زيد، نصر، (1994م)، **نقد الخطاب الديني**، ط2، القاهرة، دار سينا للنشر.

(07)حلمي، مصطفى، (2005م)، **قواعد المنهج السلفي في الفكر الإسلامي (بحوث في العقيدة الإسلامية)**، ط1، بيروت- لبنان، منشورات محمد علي بيضون - دار الكتب العلمية.

ISSN: 2600-6871
EISSN : 2352-9598

(08)خالد كبير علال، (2008م)، **الأخطاء التاريخية و المنهجية في مؤلفات محمد أركون و محمد عابد الجابري**- دراسة نقدية تحليلية هادفة- ط1، الجزائر، دار المحتسب.

(09)الشريف، محمد شاكر،(1411ه)، **العلمانية و ثمارها الخبيثة**،ط1، الرياض ، دار الوطن .

(10)عبد اللطيف، كمال، (1992م)، **مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر**، بيروت، الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر .

(11) عفلق، ميشيل، (1972م)، **في سبيل البعث**، ط6، بيروت، دار الطليعة.

(12)عمارة، محمد، (1990م)، **أزمة الفكر الإسلامي المعاصر**، القاهرة، دار الشرق الأوسط للنشر.

(13)عمارة، محمد، (1997م)، **التيار القومي الإسلامي**، ط1، القاهرة، دار الشروق.

(14)الميسري، عبد الوهاب، (2002م)، **العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة**، ط1، المجلد 1، القاهرة، دار الشروق .

(15)هشام جعيط، (1995م)، **أوروبا والإسلام،صدام الثقافة والحداثة**، ط1، بيروت، دار الطليعة.

(16)هويدي، فهمي، (1999م)، **المُفْتَرون** (خطاب التطرّف العلماني في الميزان)، ط2، بيروت، دار الشروق.

*المؤلف المرسل: عبد الله بن جبار
abdallah.bendjabbar@univ-alger2.dz